قصة قصيرة

الشبح

حرز الله محمد صالح

١ ـ غفوة :

توقف طارق عن السير فجأة .. تعلقت عيناه بفيللا عملاقة انجزت حديثا .. حملق فيها مليا ثم جلس على الرصيف يراقبها .. ظل متجمدا في مكانه لحظات . ثم بدأ يعدّ النوافذ .. تصور ان شعبا بأكمله يسكن هذه الفيللا ، وبينما هو كذلك اقترب منه طفل وقال :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ لا شيء .

ـ لماذا تنظر الى فيلتنا ؟

ـ (.....)

تأمل مليا ثيابه النظيفة .. دارت عيناه في محجريهما .. لاحت له أمه وهي ترتب اخوته التسعة في غرفتهم الوحيدة الكبيرة جدا .. ضمّ محفظته جيدا الى صدره ثم هرول تجاه المدرسة .

٢ ـ غرفة النوم :

ـ لماذا جئت متاخرا ؟

سكت طارق .

ـ قلت لماذا جئت متأخرا ؟

انسكبت الدموع من عيني طارق .

ـ ارجع الى مكانك .

الاطفال يشاهدون المنظر صامتين .

ـ نتابع دراستنا يا أطفال ، والآن صفوا غرفة النوم ..

انغمس الاطفال في الكتابة ، بينما راح المعلم يجول بين الصفوف ، شارد الذهن .

ـ سيدي ، كيف نسمي « الكوافيز » بالعربية ؟

ـ سيدي ، كيف نسمي « الاساندلي » بالعربية ؟

توالت الاسئلة على المعلم .. قطعت عليه حبل التفكير .. لم يكن مستعدا للاجابة على أي سؤال .. كان يستقبل أسئلتهم بلامبالاة ، ولما تمادى الاطفال في الاسئلة صاح فيهم غاضبا وأسكتهم ، وطلب منهم أن يكتب كل واحد ما شاء . استمر في السير بين الصفوف ، وكان يتوقف بين الفينة والاخرى ويقرأ بعض ما أنجز من جمل :

« غرفتنا تطل على حديقتنا الجميلة ... » .

« في كل صباح ترتب الخادم غرفة نومي ... » .

« زرت غرفة نوم صديقي عادل وكانت تتكون من ... » .

هز المعلم رأسه عموديا بحركات بطيئة ، ثم تذكر بأنه لم يدفع لصاحب الفندق ايجار الغرفة . توقف عند

طارق .. تأمل ورقته المليئة بالخطوط المتداخلة والدوائر والامشاءات ثم قال :

ـ لماذا لم تكتب يا طارق ؟

ـ لاني لا أستطيع أن أصف غرفة النوم يا سيدي .

ـ عهدتك تلميذا مجتهدا يا طارق .

ـ ....

ربت على كتفه ثم قال :

ـ حاول يا طارق .

ـ سأحاول يا سيدي .

٣ ـ محو البطالة :

ـ أطال الله عمرك يا سيـــدي ، فأنا اب لعشرة أطفال ؛ وقد فصلت من عملي لكبر سني .

ـ استمع جيدا .. حـــذار أن يقترب الاطفـال أو المتسكعون من السور فيلطخوه كما سبق أن فعلوا .

ـ لا تخف يا سيدي ، ونم مطمئنا .. فسأسهـر من أجل هذا .

ـ في النهار يمكنك أن ترتاح لاني لا أحتاج اليك الا في بعض المسائل الخفيفة .

ـ شكرا يا سيدي .

(ثم أضاف) :

ـ لي طلب عندك يا سيدي !

ـ ما هو ؟

ـ هل يمكن لابني أن يقـــوم بحراسة الناحيـــة الشرقية ، فأنت تعرف بأن المعيشة ...

ـ لسنا في حاجة الى ذلك ، فالكلاب تحرسها ، ثم لا تضيع مستقبل ابنك ، فاتركه يكمل تعليمه .

ـ كما ترى يا سيدي .

٤ ـ حوار عابر :

ـ كلما مررت من هنا تذكرت أغنية « نجم » .

ـ ماذا تعني ؟

ـ « شيد قصورك على المزارع ... » .

ـ أما انا فأتذكر أغنية أم كلثوم « يا مسهرني » .

في هذه اللحظة كان يمر حذوهما شيخ ؛ التقط حوارهما فقال :

« اللي اشوف للسماء اطيح ششيتو » (٨) .

انطلقت منهما ضحكة مدوية رددتها أسوار القصر العظيم ؛ ثم سرعان ما ذابت مع الانحدار ؛ وحل محلهـا صمت جنائزي .

٥ ـ هامش :

بعدما أنهى طارق الفترة المسائية جمع أولاد الحارة الذين لم يكتبوا موضوع الانشاء واعطاهم قطعا من الفحم والتعليمات اللازمة ؛ وراحوا يرسمون غرف نومهم على السور الابيض العظيم .

٦ ـ النصيحة :

الاب لابنه :

« صاحبك جيبك » .

« النعمة نقمة » .

« ان مـع العسر يسرا » .

« ان الله مع الصابرين » .

« وقل لا يصيبنا الا ما كتب الله لنا » .

٧ ـ الدرس :

المعلم : من يشرح لي العبارة التالية :

« الثورة من الشعب والى الشعب » .

أحد التلاميذ يجيب :

ـ المقصود يا سيدي الثورة منا والينا .

ثم أجاب طارق :

ـ الثورة منه واليه يا سيدي .

انفجر التلاميذ ضاحكين . فصاح المعلم غاضبا :

ـ ماذا قلت يا طارق ؟

ـ الضمير الغائب يعود على ...

ـ يعود على من ؟

ـ عليه يا سيدي .

ـ من ؟

ـ الشعب .

ـ احسنت . (ثم أضاف) : انسبوا العبارة الآن الى صيغة المتكلم .

ـ الاولى أم الثانية يا سيدي ؟

ـ كما تريدون .

ـ الى الماضي أم الى المستقبل ؟

لم يستطع متابعة أسئلتهم المتهاطلة ؛ فوضع رأسه بين يديه وسكت .

(١) اطيح ششيتو : تسقط قبعته .